بسم الله الرحمن الرحيم

لقد أظلنا شهرٌ عظيم مبارك ،هو شهر الله المحرم، وهو أول شهور السنة الهجرية ،وأحد الأشهر الحرم، يُستحب الإكثار فيه من الصيام، ففي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ وَأَفْضَلُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلاَةُ اللَّيْلِ)).

وأفضل أيام هذا الشهر المبارك هو يوم العاشر، فقد صامه صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه، ففي الصحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ، هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى. قَالَ: فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ)).

ويتأكد صيام يوم عاشوراء؛ لحديث ابن عباس قَالَ: مَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمٍ فَضَّلَهُ عَلَى غَيْرِهِ، إِلاَّ هَذَا الْيَوْمَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَهَذَا الشَّهْرَ. يَعْنِي شَهْرَ رَمَضَانَ))

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ عَاشُورَاءُ يَوْمًا تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ صلى الله عليه وسلم يَصُومُهُ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لاَ يَصُومُهُ)).

ويستحب حث الصبيان الصغار على صيامه؛ كما جاء في الصحيح عَنِ الرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْرَاءَ قَالَتْ: أَرْسَلَ صلى الله عليه وسلم غَدَاةَ عَاشُورَاءَ إِلَى قُرَى الأَنْصَارِ الَّتِي حَوْلَ الْمَدِينَةِ، مَنْ كَانَ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ وَمَنْ كَانَ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ. فَكُنَّا بَعْدَ ذَلِكَ نَصُومُهُ وَنُصَوِّمُ صِبْيَانَنَا الصِّغَارَ مِنْهُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ وَنَذْهَبُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَنَجْعَلُ لَهُمُ اللُّعْبَةَ مِنَ الْعِهْنِ-الكرة من الصوف- فَإِذَا بَكَى أَحَدُهُمْ عَلَى الطَّعَامِ أَعْطَيْنَاهَا إِيَّاهُ عِنْدَ الإِفْطَارِ)).

وصيام يوم عاشوراء له أجر عظيم، وهو أحد المواسم التي يضاعف الله تعالى فيها الأجر، ففي صحيح مسلم قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((ثَلاَثٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ فَهَذَا صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ، وصِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ، وَصِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ)).

فيا له من فضل عظيم، لا يفوِّته إلا محروم، فصيام يوم واحد يكفر الله به خطايا عام كامل، وهذا من رحمة الله تعالى بنا ،ولطفه بعباده ، وتكرمة لهذه الأمة ، ويجوز للمسلم صيام عاشوراء ويوم قبله أو يوم بعده، فعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ. وفي رواية أَنَّهُ قَالَ: ((صُومُوا التَّاسِعَ وَالْعَاشِرَ وَخَالِفُوا الْيَهُودَ))، فاغتنم هذه الفرصة، لتقدم لنفسك زاداً تجده غداً أمامك، فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره.

ويأتي يوم عاشوراء أيضاً ليُذكِّر الأمة أنه لا تقف أمام قوة الله أي قوة، ولا يعجزه سبحانه شيء في الأرض ولا في السماء، وأنه سبحانه إذا أراد شيئًا فإنما يقول له: كن فيكون.

فيوم عاشوراء فيه رسالة أن الباطل مهما انتفخ وانتفش ،وتجبر وتغطرس ،وظن أنه لا يمكن لأحد أن ينازعه ،أو يرد كيده أو يهزم جنده، فإن مصيره إلى الهلاك، وعاقبته هي الذلة والهوان، فهذا فرعون الطاغية، بلغ به التكبر والغرور أن يدّعي الألوهية، وأن يعلن للناس بكل جرأة: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}[القصص:38]، وأن يقول بملء فيه من غير حياءٍ ولا خجل:{أَنَا رَبُّكُمْ الأَعْلَى }[النازعات:24]، لكنه حين حل به العذاب ،لم يُغن عنه ملكه وسلطانه، ولا جنده ولا أعوانه.

فشهر الله المحرم شهر نصرٍ وعزٍ، نصر الله تعالى فيه موسى صلى الله عليه وسلم وقومه، على فرعون الطاغية المتجبر، رغم كثرة عددهم وعُدتهم، فإن الله تعالى يُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، فعَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِى لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ. ثُمَّ قَرَأَ {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ}))، وبإحياء ذكرى ذلك النصر المجيد، على ذلك الطاغية الكبير، نعلن أن الدعوات لا تهزم بالأذى والحرب والاضطهاد، وعاقبة الظلم وخيمة، والله ناصر دينه وكتابه وأولياءه، والعاقبة للمتقين، والنصر حليفهم متى ما تمسكوا بدينهم، واستنزلوا النصر من ربهم، قال تعالى: {وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللهِّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }[آل عمران:126]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين